

في نور محمد فاطمة الزهراء

ويقدّمون له الحقد والشرّ والخصام. وأيقنت الابنة أنّهم لا يراعون عن طغيانهم الذي سدروا فيه، وأنّى لهم الارعواء عن جور لن ينحسر مدّه، ومن ورائهم بحار من أحقادهم تمدّه بمثل الطوفان؟ كلا، لن يغمدوا دونه أدوات حربهم ما ظلّ يدعو إلى رسالة السماء. كلا، لن يكفّوا عواديهم عنه وإن اتاهم على الحقّ بألف برهان وبرهان وفيما نخال، كان أشدّ أسلحتهم فتكاً سلاح العناد، وهل أظهر بياناً على إسرافهم في اللجاج، وغلوّهم في خلافهم الضالّ، من مطالبتهم إيّاه بما يخالف طبيعة الأمور، ويدور في فلك المحال؟ قالوا له:

(لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَنَا بِسَحَابٍ مِّمْلَأٍ زَكَاةٍ ذُقِيهَا * أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرُوهُ) قال: (سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) [418]. أفما تحقّق إذاً عليهم كلمات القرآن: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [419]. * * * ومع ذلك فقد كان قلب الصغيرة الكبير يأسف لهم، ويأسى عليهم، ويودّ لو نزعوا عن عنادهم الغوي الظلّوم، وفاءوا إلى الهدى والصواب. ولماذا لا تأسى فاطمة ولا تأسف وإنّهم منها لإخوة في الإنسانية قبل أن تجمعهم وإيّاها صلة رحم أو وشيجة قرابة؟